محمد عبدالباري

أُغنية لِعُبُورِ النَّهر مَرَّتَيْن



أغنية لعبور النهر مرتين

أغنية
لعبور النهر مرتين

محمد عبدالباري



أغنية لعبور النهر مرتين

محمد عبدالباري

الطبعة الأولى - 2022

ISBN 978-9921-721-72-0

رقم الإيداع: 1910/2022



الكويت - حولي - الدائري الثالث - مجمع بروميناد - ميزانين 2

البريد الإلكتروني: info@sophiareads.com

هاتف: 52224643-965+



شكر خاص للفنانة تامتا أرفلادزي التي أبدعت الرسومات الخاصة بهذا العمل.

Special thanks to the artist Tamta Arveladze, who drew the paintings for this book.

تصميم الغلاف: عبدالرحمن الفايز

لوحات الغلاف Tamta Arveladze

كُتبتْ هذه القصيدة في مدينة نيويورك
في الفترة ما بين يونيو ٢٠٢٠ إلى مايو ٢٠٢١.

الإهداء

إلى والدتي: أم كلثوم القاسم
إلى السيدة الجليلة التي جاءت بي إلى الوجود مرة واحدة،
ولكنها ما تزال تلدني كل يوم.
أهدي هذا الكتاب

« أصاف الرجلُ، فهو مُصِيفٌ: وُلِدَ له في الكبر »

«أراح: دخل في الريح»

لسان العرب



1

وحدي

هنا والآن

بابي المنتمي للصيفِ تُفتحُ باسمه الأبوابُ

فإذا السكينةُ تلتقي بالعنفوانِ

ويستهلُ الهادئُ الصخّابُ

في الأفقِ

تُلغي اللوحةُ الخلّابةُ البروازَ

كي يتحرّرَ الخلّابُ

ينفي كرستالُ السحابةِ ماءَه

كيلا يُكدّرَ صفوَه التِسكابُ

والبحرُ يسترخي على أرجوحةٍ من ساحلينِ

ليستريحَ عُبابُ

يمشي الهواءُ إلى رطوبتِه

لكي تندى على جسدِ الهواءِ ثيابُ

يختارُ سجّادُ الظهيرةِ ما يشعُّ من اللآلئِ
كي يُشعَّ ترابُ

ويواعدُ العذبُ الجريحُ كؤوسَه
حتى تذوقَ نبيذَها
الأعنابُ

هي نشوةُ الزمنِ المضاعَفِ
مرتينِ يدقُّ أجراسَ الزيارةِ آبُ

وبخفةٍ
ينتابُني طقسُ المثنّى
والرؤى تزدادُ إذ ينتابُ

لي في المكانِ مدينتانِ:
مدينةٌ حمراءُ يخفقُ فوقَها اللّهابُ

ومدينةٌ أخرى تُشيّدُها الظلالُ
بها النسائمُ من هوايَ عِذابُ

فوقي سماءانِ:
التي عن صحوِها المنداحِ يكشفُ غيمُها المنجابُ

ثم السخيّةُ بالمسافةِ حينما مني يرفرفُ طائرٌ جوّابُ

شمسانِ لي:
شمسٌ وتوضحُني
بها يمتدُ في قلقِ السؤالِ جوابُ

شمسٌ وتصهرُ نفسَها
وشُعاعُها ذهبٌ على جسدِ المكانِ مُذابُ

عُشبانِ لي:
عشبٌ بريءٌ حين تلبسُ ثوبَ أخضرِها الجديدِ هضابُ

عشبٌ خبيرٌ حينما في حائطي المهدومِ يكبرُ وحده اللبلابُ

والآنَ
في الوثّابِ من روحِ المثنّى هذه
يجري بيَ الوثّابُ

فأهبُّ صوبَ شقيقيَ الثاني
لكي تمتدَ فيما بينَنا الأنسابُ

في الجاذبيِّةِ نلتقي
فالذاتُ قُربَ الآخرِ
المجذوبُ والجذّابُ

إن كان باعدَنا الغيابُ
فطالما في الحاضرينَ تنفّسَ الغُيّابُ

هذا أنا
شوقاً لنصفي المطمئنِ
يطيلُ دربي نصفيَ المرتابُ

وهنا هناكَ
على خطى غجرٍ قدامى
في الرحيلِ وفي العَرافةِ ذابوا

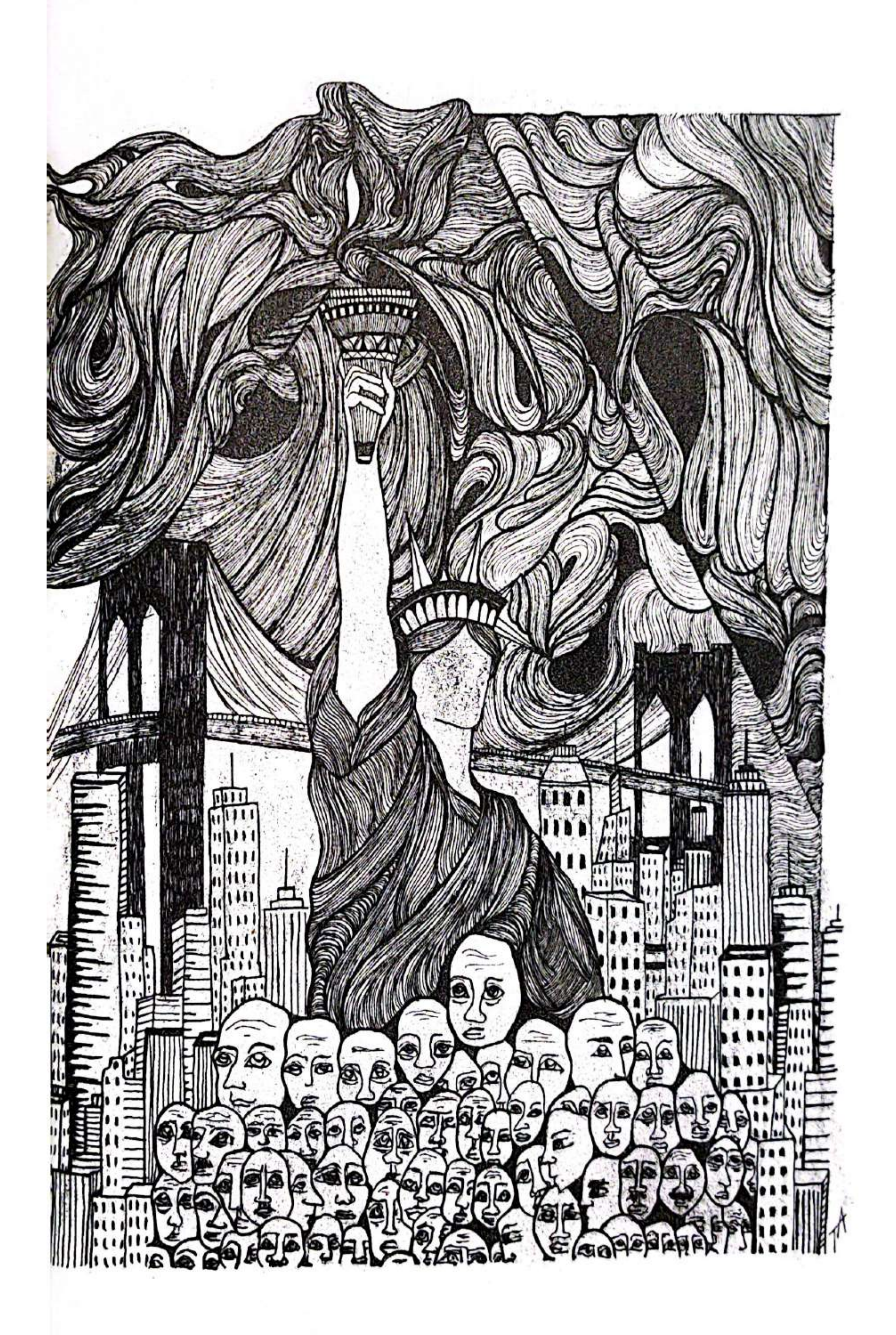
الراحلُ العرّافُ مني
في الرمالِ يرى
وفي طُرقاتِها ينسابُ

لي من رياحي أصدقاءٌ
كلما حضروا معي وضْعَ الحقائبِ
غابوا

لي حكمتي
أنَّ المياهَ بعيدةٌ
أنَّ القريبَ من المياهِ سرابُ

لي في يدي وطنٌ
وأعرفُ أنه وطنٌ وبالمنفى البعيدِ مُصابُ

فهي البلادُ هوىً وهاويةٌ معاً
وهو الرحيلُ
عذوبةٌ
وعذابُ



2

مرحى نيويوركُ

الرحيلُ مع المطالعِ قد تناهى بي إليكِ

هو الخليجُ على جنوبكِ يفتحُ البوابةَ الزرقاءَ لي

لأسيلَ بين القادمينَ بلا وجوهِ

من هوى الأفُقِ القديمِ

إلى هوى الأفُقِ الجديد

الروحُ عيد

وشعلتي تتقدّمُ الشُعلَ المُضاءةَ باتجاهِ مدينةِ الدنيا

وتدخلُ رايتي في سربِ راياتٍ

تعالتْ تحتَ مجدِ الله

يا هذي المدينة

ذوّبيني في المزيجِ الحارِ منكِ

لكي أجرّبَ وحدةَ المعنى

وشُقّي بي مدارَ الطاقةِ الناريّةِ البيضاءِ فيكِ

لكي أفيضَ عن الرمادِ

وأسكنِيني منكِ

في بيتٍ من الصحوِ الجميلِ يُشعُّ في الأعلى

لكي يتحررَ المنفى المفاجئُ من توجّسِه

ويخفتَ في الضبابِ ضبابُ

في لوعةِ المدنِ المعاصرةِ الملامحِ
وحدكِ الآن المدينةُ
فالبقيّةُ رغم كثرتِها قُرى
في الليلِ من كلِ القصائدِ
وحدَها الآنَ القصيدةُ هذه ترتادُ أجراسَ الثريا
فالبقيّةُ رغم كثرتِها تُعبّرُ عن قناعاتِ الثَرى
وأنا وأنتِ روايتانِ
وشهوةُ الراوي العليمِ هنا توحّدُ بينَنا
فلنبدأ الآنَ الروايةَ باتفاقٍ ساطعِ البندينِ:
(من بحرِ الخياليِّ المجرَّدِ حرّري فيَّ السفينةَ،
بعدها سأقومُ بالدورِ المقابلِ
حين فيكِ أحرّرُ التمثالَ من صخرِ الحقيقيِّ المجسَّدِ)
باسمِ هذا الوعدِ
فلنرفعْ سماءَ الوقتِ للأعلى معاً
هذا وإلا سوفَ تسقطُ فوقَنا ظلماؤها
والمنتهى من هذه الظلماءِ لا ينجابُ

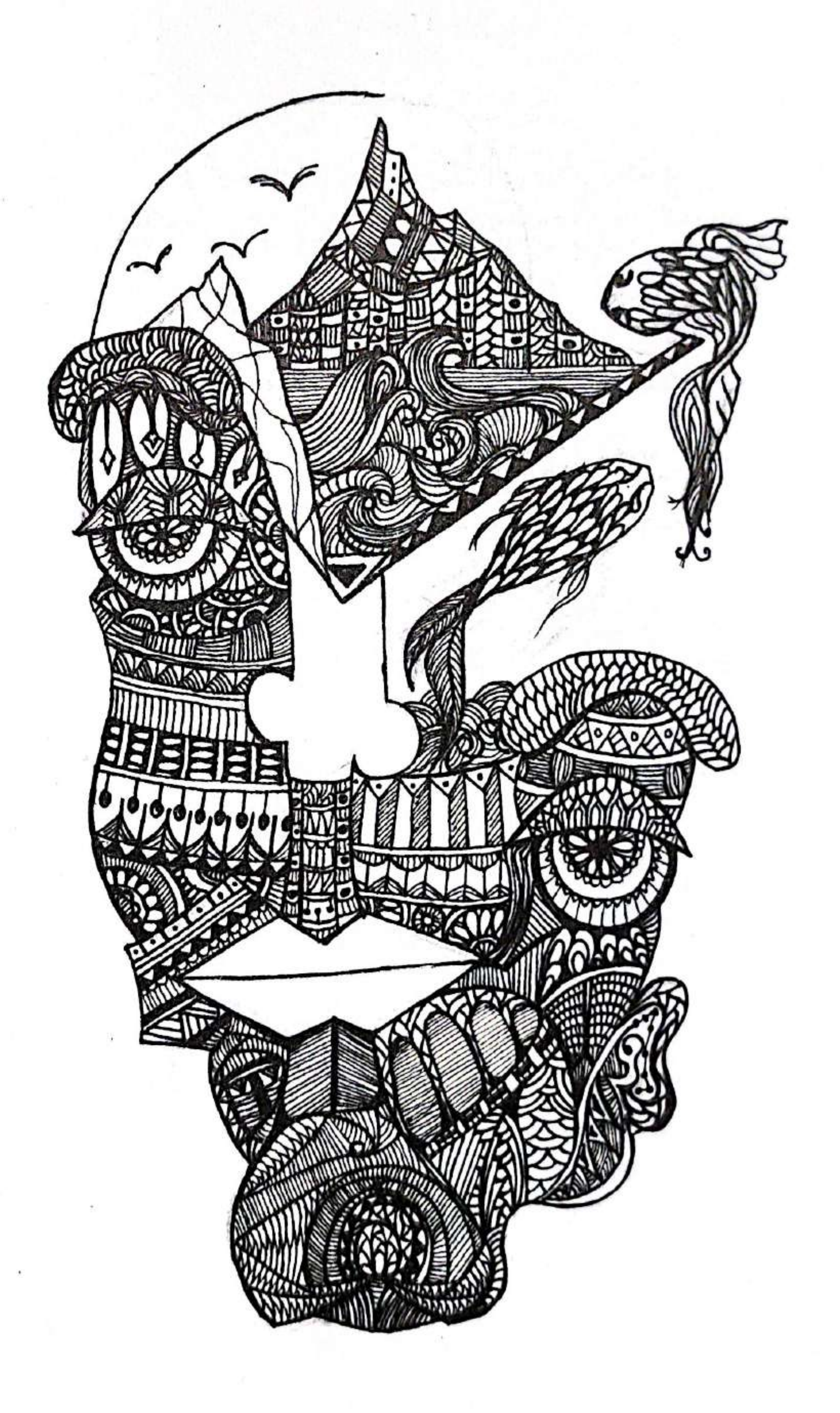
هذا النهار
الشمسُ من قارورةِ العسلِ البديعِ تسيلُ،
تنخرطُ الخزامى في مشاغِلها،

الفراشةُ يزدهي في اللونِ حتى ظلُّها،
ومن البشاشةِ
توشكُ الآن التماثيلُ المقيمةُ في الحدائقِ أن تغني،
والنوافذُ في البيوتِ تكادُ تقتبسُ الطيورَ لكي تزورَ البحر،
وإلى المقاهي في الضفافِ تكادُ أن تمشي لكي تتنزهَ الأبوابُ

في الليل هذا
مثل أندرِ عُملةٍ فضيّةٍ
يتألقُ القمرُ المطلُّ على المدينةِ،
تشرعُ الشرفاتُ في طقسِ الضيافةِ
كي تُتمَّ الملتقى السنويَّ عائلةُ النجومِ،
تُجدّدُ الطرقاتُ زينتَها الخفيفةَ
حين ينسى الأصدقاءُ على قناديلِ الكلامِ نفوسَهم،
يتخاصرُ العشاقُ في تنهيدتينِ من الصبابةِ
بعدَ أنْ يصلَ الهواءُ الساخنُ الأرواحَ،
تتحدُ الكؤوسُ معِ الكؤوسِ من التوهجِ
حينما في صحةِ الليلِ الموائمِ
تُرفعُ الأنخابُ

وأنا هنا نخبي سيرفعُ نفسَه في صحةِ المعنى الجديدِ
فيا مدينتيَ الجريئةَ
حرريني من قديمِ وجوهيَ الموروثةِ الأولى
ولو بجديدِ أقنعةِ السرابِ
أريدُ منكِ الآن أنَ تتخطّفيني من مدايَ
أريدُ في الأعماقِ مني:
أن أهيّجَ ساكني وأرجَّ صمتَ القلب.
في الجسدِ المغطّى بي:
أريدُ من الغوايةِ أن تزيحَ ستارةَ الصوفيِّ عن جسدي.
وفي المرآةِ من مللي التي لا يمكنُ التحديقُ فيها مرتينِ:
أريدُ أنْ تتفجّرَ الآنَ المسامُ من الإثارةِ في عروقي
في الظلامِ:
أُريدُني
ليشقَّ بي قلبَ الظلامِ شهابُ

بجناحِ طائرةٍ
يُقشّرُ غيمةً عن غيمةٍ
وافيتُ من وطنٍ مجازيٍّ إلى وطنٍ مجازيٍّ
فكوني يا نيويوركُ الحفيّةَ بي.
هي خمسةٌ هذي الأقاليمُ البعيدةُ في جنونكِ،
والثلاثةُ فيكِ أنهارٌ من الفرحِ الأموميِّ المسافرِ،
والحدائقُ في ارتعاشكِ تبلغُ الآلافَ،
والخطواتُ في هذا البيانو الضخمِ فوقكِ
ترتقي منها ملايينُ الأغاني،
والحكاياتُ التي تجتاحُ وجهكِ كلَّ يومٍ تلمسُ المليارَ
في هذا الزحامِ الملحميِّ
أنا هنا وحدي
أساورُ بابكِ السحريَّ
فالتفتي إليَّ
وأدخليني المهرجانَ الدائمَ اللمعانِ فيكِ
وأدخليني في أُخوّةِ أهلكِ النُّزّاعِ من شتّى القبائلِ
كي أكونَ الآن ضيفكِ
ولتُريني كيف نحو الضيفِ
يسبقُ نفسَه الترحابُ



3

أنا ضيفُكِ الآتي
وتحتي للدخانِ ثرى
وفوقي للدخانِ سحابُ

لا
لم يفاجئني الحريقُ
رأيتُه من يومِ بشّرَ بالحريقِ ثِقابُ

من يومِ في روحِ العبيدِ من الملوكِ الصاغرينَ تورّمَ الأربابُ

من يوم في الصلواتِ شحَّ الماءُ
واحترفتْ تراتيلَ السرابِ قبابُ

من يوم جرَّبت الهزائمَ كلَّها الراياتُ
واختطفَ الحقولَ يبابُ

من يوم ضجّت في القلوبِ ضغائنٌ سكرى
ودوّى في العقولِ
عُصابُ

أنا ضيفُكِ الآتيكِ من بوابةِ الموتى
ويرجفُ في دمي البوّابُ

جُثثٌ تُراوحُ بين عشرِ أصابعٍ مني
ويقطرُ من يديَّ
خرابُ

يتأرجحُ التاريخُ في أنشوطةٍ حمراءَ
تخنقني بها الأحقابُ

(كوشٌ) على (سبأٍ) أرَّنتْ
(سومرٌ) ذابتْ
وغابتْ في الرمالِ (مؤابُ)

و(القيروانُ) ذوت

وتحتَ (الجامعِ الأمويِّ) سنَّ ظلامَه السردابُ

واستأنفتْ أعراسَها الوثنيّةَ السوداءَ حولَ (الكعبةِ) الأنصابُ

بنزيفِ خاصرتي أجيئكِ

مثلما بنزيفه العالي يجيء عُقابُ

لا ليس لي دورُ الضحيّةِ

إنني في المنتهى

المغلوبُ والغلاّبُ

جرحُ الأحبةِ أبيضُ

والآنَ من خلفي يزيدُ بياضيَ الأحبابُ

إن كنتُ في وطني أموتُ

فربما في رفِّ مكتبةٍ يموتُ كتابُ

أنا ضيفكِ المخلوقُ من ظمأٍ إلى كلِ الينابيعِ التي تنسابُ

معنايَ نهبُ مطالعٍ شتّى
ولي في كلِ أسماءِ الجهاتِ ذهابُ

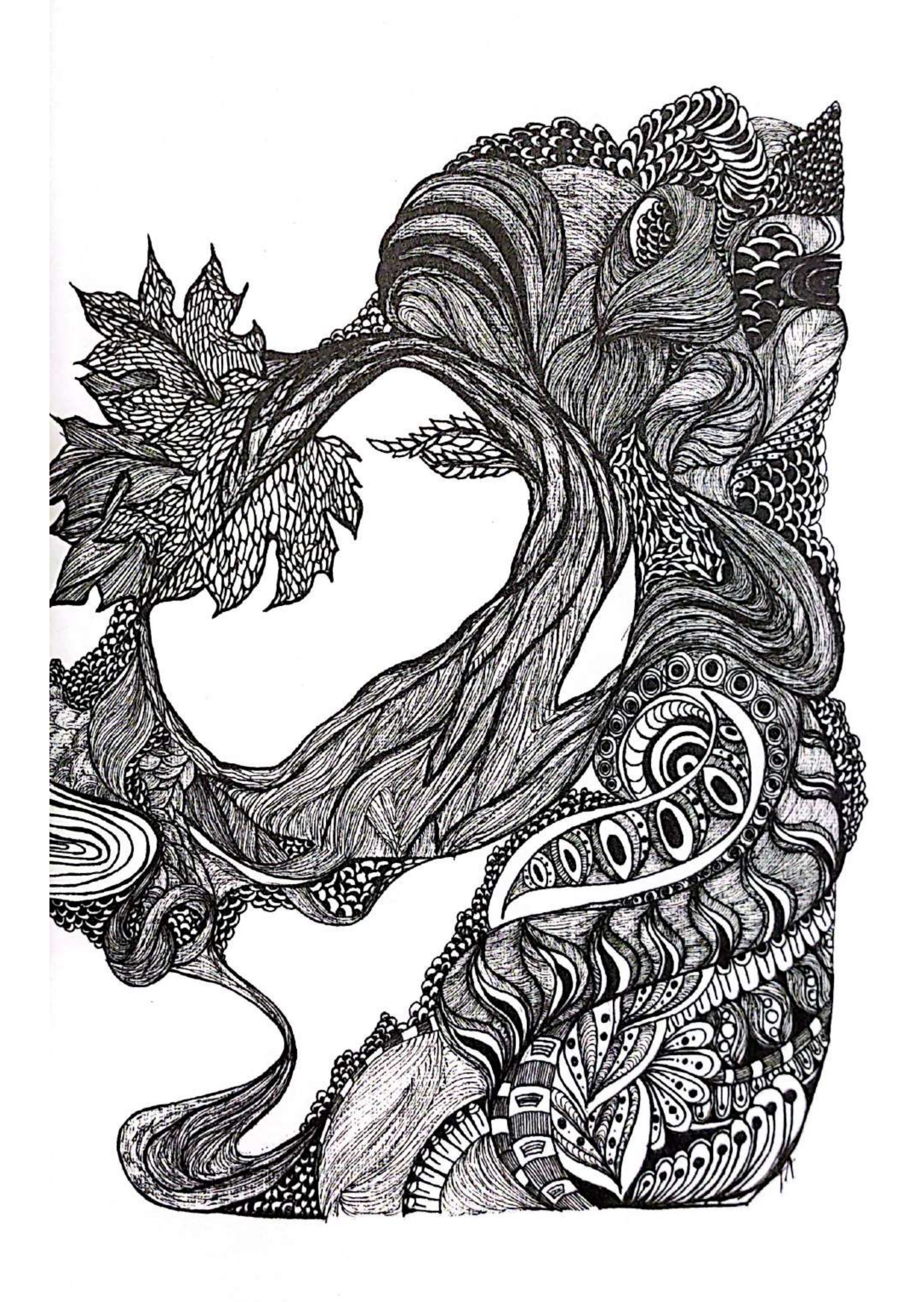
فلتطلقيني في المدى المفتوحِ فيكِ
لكي تُحلّقَ منيَ الأسرابُ

ولتفتحي سعةَ المكانِ الرحبِ لي
فلديَّ من ضيقِ المكانِ
رُهابُ

« الخريف في الأصل...هو اسم مطر القيظ، ثم سُمّي الزمنُ به»

«الشجن...الحاجة أينما كانت»

لسان العرب



4

يجيء الخريفُ
فيتحّدُ الذهبُ-اللونُ
بالذهبِ-الجوهرِ

ويزدهرُ الملتقى
ملتقى الواضحِ الجافِ بالغامضِ الممطرِ

وينسابُ من فاتنِ الوقتِ ما يرفعُ اللحظاتِ إلى الأعصُرِ

هنا
أتراخى على مبهرٍ يتلقى الطبيعةَ من مبهرِ

نسيمٌ يُراهقُ للريحِ،
بردٌ يَشُبُّ إلى بردِهِ الأكبرِ

طيورٌ تفضُّ الجنوبَ،
أناشيدُ تنعى السنابلَ للبيدرِ

غيومٌ على أُهبةٍ،
شجرٌ يتحرّرُ من سُلطةِ الأخضرِ

طريقٌ ويلمعُ فيه الضياعُ كما يلمعُ الدمُ في الخنجرِ

غروبٌ
ومن شفقينِ مزيجينِ من زعفرانٍ ومن عنبرِ

هنا الآنَ
حيث الأسى الاعتياديُّ
يأخذُني للأسى العبقري

يُداخلني شجنٌ ناعمٌ
من نعومةِ جلدِ الأفاعي الطري

يطيشُ خيالي
فيلغي المدى الصعبَ بين الفقيرِ وبين الثري

وإذ تتضاعفُ فيَّ حواسيَ
يرقى أقلي إلى أكثري:

أرى ما أرى
من تعري الملابسِ وهي تكافحُ ضدَ العُري

وألمسُ ألمسُ
رقةَ خاطرةٍ بعدُ بالبالِ لم تخطرِ

أذوقُ أذوقُ
البياضَ الذي يتناقضُ في الملحِ والسكّرِ

أشُمُّ أشُمُّ
احتراقَ المسافةِ في عابرٍ شاخَ في معبرِ

وأسمعُ أسمعُ
حتى دويَّ ملامسةِ الريشِ للمرمرِ

هنا الآن
حيث الزجاجُ المكثّفُ في الشمسِ ما زالَ لم يُكسرِ

وحيثُ القصيرُ من الظلِ
لَمّا يسارعْ إلى ظلّه الأقصرِ

وحيث التجاعيدُ في أوجهِ الشجرِ الشبحيِّةِ لم تظهرِ

هنا سوف أرجعُ
هذا أوانُ
رجوعِ المصادرِ للمصدرِ

أوانُ التساقطِ
في المتناثرِ من ندمِ الورقِ الأصفرِ

أوانُ الحنينِ إلى غابةٍ
كم تحنُّ إلى أصلِها المقفرِ

أنا الآن
-والعمرُ ياقوتةٌ قد تناهتْ إلى سرّها الأحمرِ-

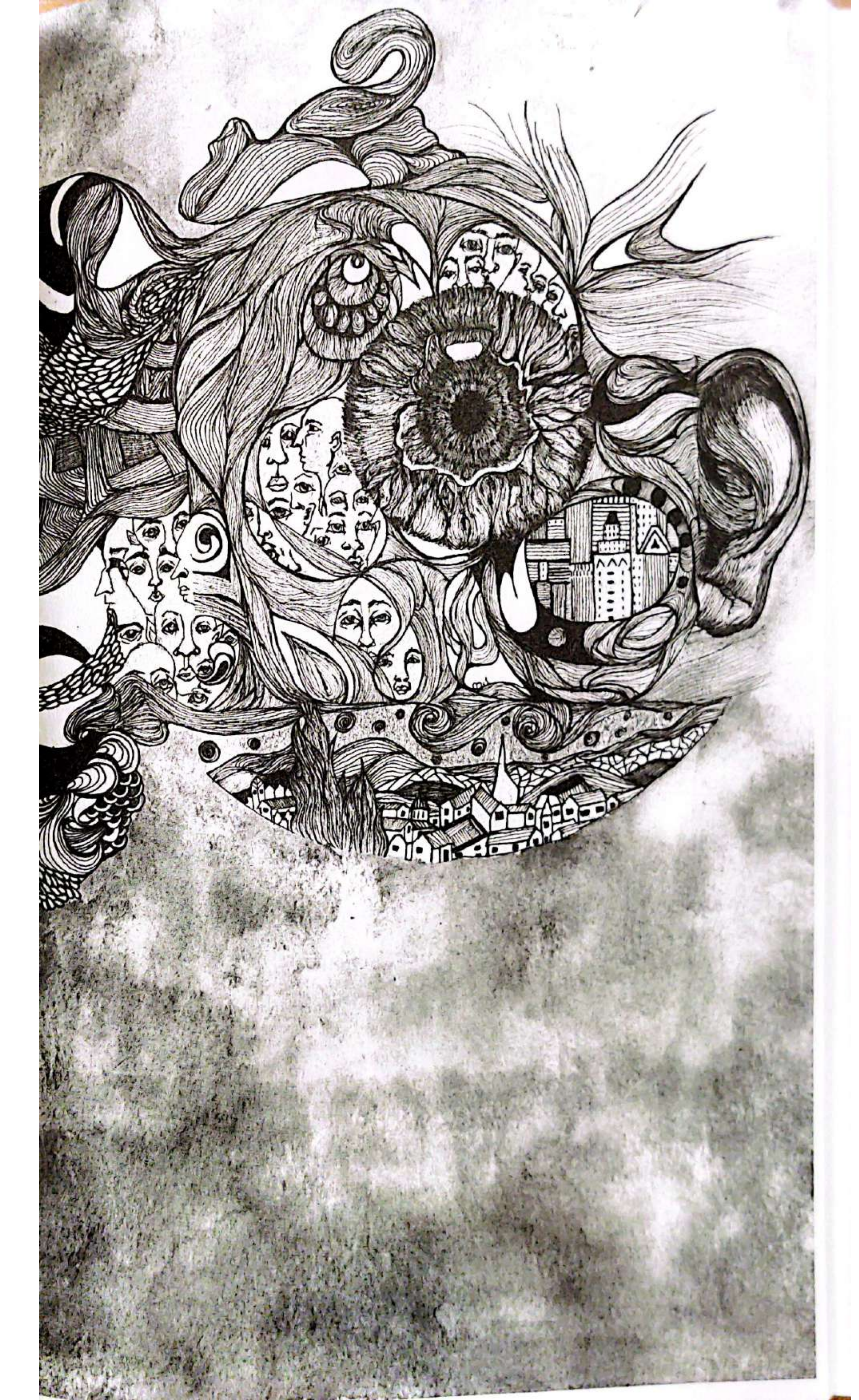
أَجرُّ معي تسعةً من عناصرِ نعيي
وأبحثُ عن عنصرِ

لتخرجَ روحيَ من روحِها
يا خروجَ المياهِ
من الأنهرِ

أنا الآن أشعرُ أن الحريرَ بمثل حريريَ لم يشعرِ

وأني التحولُ
في مُظلمٍ آخذٍ في الترقي إلى نيّرِ

وأنيَ أوسعُ من عالمي
وقد يغرقُ البحرُ
في المبحرِ



5

هنا أولُ الليلِ يطرقُ بابَ المدينةْ
وصُفرُ المصابيحِ تعرضُ حصتَها من بقايا الشموسْ

نيويورك
عبرَ شوارعَ طوليّةٍ تصلُ الأفقَ بالأفقِ
أشعرُ أني أريدُ التناهي
وبين متاجرَ ليست تبيعُ سوى باهظِ الوهمِ
أشعرُ أني أريدُ التخلي
ومن ناطحاتِ سحابٍ تطلُ على الغيبِ
أشعرُ أني أريدُ الجلوسْ

نيويورك
حيث أعالي الأولمبِ الجديدِ تُسبّحُ آلهةً للتقدمِ
طقسُ الرمادِ الحداثيِّ يتركُ أدرانَه في القلوبِ،
وطقسُ النحاسِ الحداثيِّ يتركُ ضوضاءَه في الرؤوسْ

نيويورك

حولي

مشاةٌ -كأسبابِ خوفي- أراهم يحيطون بي

لافتاتٌ دعائيّةٌ -كملامح وجهي- أراها أماميَ تكذبُ

أرصفةٌ - مثل باحاتِ عمري- أراها تضيقُ بأوساخِها

باعةٌ جائلونَ - كأسرار روحي- أراهم يبيعونَ للعابرين أساهم

تكاسٍ وصفراءُ صفراءُ -مثل احتمالاتِ موتي- أراها خلالَ المكانِ

تجوسْ

نيويورك

هذا هو الموجُ

لا في المياهِ التي تتطايرُ من حول منهاتنَ الآن

لكن هو الموجُ في الطرقاتِ:

هنودٌ...أفارقةٌ...

لاتنيونَ...بيضٌ...

مشارقةٌ...

آسيويونَ...

كم هائلٌ مستحيلُكِ يا بانوراما الملامحِ يا بانوراما النفوسْ

نيويورك
كم عالياتٌ بكل المنازلِ أسماؤكِ القمريّةُ:
عاصفةُ الضوءِ والصوتِ
مملكةُ الحيويّة
هاويةُ الوحشةِ التقنيّة
تعويذةُ العالمِ المنتشي
وردةُ العنف
تفاحةُ الامبراطور
أرجوحةُ التعبِ العذبِ
مفتاحُ بوابةِ المشتهى
(بابلُ) الأوجهِ المستهلةِ رغم الأسى
(عاموراءُ) الأيادي
(سدومُ) القلوب
العروسْ

ومنتصفُ الليل يطرقُ باب المدينةْ
نجومٌ تشارفُ نصفَ المدارِ
رياحٌ تشارفُ نصفَ المهبِّ
وتحتيَ تلهثُ مني خطايَ ويلهثُ دربي
لأنَّ المدينةَ أسرعُ من نبضِ قلبي

أماميَ (هارلمْ).

هلالٌ من الذهبِ الأسودِ المستحيلْ.
أنا كالهلالِ أُصلّي،
وأمسكُ وحدي السماواتِ كيلا تميلْ.

(سنترالْ باركْ).

غرابةُ أغنيةٍ بين قوسينِ في دفترٍ من ضجيجْ.
أنا في تدبر أغنيتي أجلسُ الآن وحديَ
أصغي لرائحةٍ
-تحت رائحةِ الوردِ-
تبني لبعضِ ضحايا الحداثةِ تذكارَهم
بينما الوردُ يبني سلالمَ شفافةً للأريجْ

(كولمبوسْ سيركلْ).

احتفاءٌ من الرجلِ الأبيضِ المستفزِ
بتاريخه في الجريمةْ.
أنا الآن أشهدُ جوعَ الضحيةِ وحدي

وجلّادُها يتبجّحُ:
«للشكرِ عيدٌ
وللعيدِ أن يأخذَ الآن شكلَ الوليمةْ»

(تايمزْ سكويرْ).

هو التاجُ، تاجُ الزمانِ الرديءْ.
أنا ألبسُ التاجَ وحدي
وألمعُ ألمعُ
لكنني لا أضيءْ.

(امبايرْ ستيتْ).

البدائيُّ من ومضةِ الرمحِ بين ضلوعِ الغيومْ
أنا من مكانيَ في الأرضِ
وحدي أخفّفُ من قُبّةِ الكهرباءِ المضيئةِ
حتى أعيدَ كتابةَ كلِ النجومْ

(وولْ ستريتْ).

ولا شك، نادي البرابرةِ الجددِ الشاربينَ دماءَ الشعوبْ.
أنا الآن وحديَ أشرحُ للبذَلاتِ الأنيقةِ
أن الحضارةَ والبربريّةَ أختُ الأناقةِ
لا في المظاهرِ
بل في القلوبْ

(جسر بروكلينْ).

تماسكُ سربِ حمامٍ تكثّفَ في الأفقِ
يعبرُ بي للوجوه البعيدةْ.
أنا ذاهبٌ للوجوهِ البعيدةِ وحدي
وفي وحدتي قد تجيءُ وقد لا تجيءُ القصيدةْ

(وتمثالُ حريةِ العصرِ).

بوابةُ العصرِ،
بوابةٌ بالسرابِ تموجْ.
أنا واقفٌ عند بوابةِ العصرِ وحدي،
فوحدي أريدُ الخروجْ

هنا آخرُ الليل يطرقُ بابَ المدينةْ
يَمدُّ سريرَ السكينةْ
ويُرخي عليه الظلامْ
وفيما تنامُ القلوبُ التي لم تنم منذُ قرنينِ
يسهرُ قلبي الذي لم ينم منذِ سبعةِ آلافِ عامْ



6

بهذا الهزيعِ النهائيِّ
يا واسعَ الليلِ خذني إلى الضيّقِ

أنا مرهَقٌ
وأجرجرُ خلفي البقيَّةَ من ظليَ المرهَقِ

أراني ولا أمسَ يهبطُ عني
أراني ولا غدَ بي يرتقي

فماضيَّ خلفي:
تَراجُعُ مغفرتينِ أمامَ الدمِ المهرقِ

ومستقبلي:
شارعٌ مغلقٌ
قد يؤدي
إلى شارعٍ مغلقِ

هنا الآن
إذ يتكثّفُ فيَّ دخانٌ من الهاجسِ المقلقِ

وإذ يتفشى المكرّرُ في الفذِّ
والمتصحّرُ في المورقِ

أمرُ على رائعٍ منكِ
يا لمرورِ العيونِ على الرونقِ

مصيريّةٌ أنتِ
كالموتِ وهو يشدُّ العميقَ إلى الأعمقِ

وشفافةٌ أنتِ
كالفرقِ بين المضيءِ من النارِ والمحرقِ

مبكّرةٌ كالندى
حُرّةٌ كامتدادِ السماواتِ في الأزرقِ

وغامضةٌ كنوايا الهواءِ
وبيضاءُ مثل ذنوبِ التقي

طليعيّةٌ كالقصيدةِ
شاردةٌ كالشراعِ على الزورقِ

ونادرةٌ كطُمأنينةٍ
على حافةِ الخطرِ المحدقِ

فهل يا شقيةُ
ثمّ مدىً فيكِ يكفي
ليحضنَ مني الشقي؟

تعالي إلى أحمرٍ عابرٍ
كم تعبنا
من الأحمرِ المطلقِ

لنا أن نمرَّ خفافاً علينا
مرورَ الفراشةِ بالزنبقِ

وفي بعضنا أن ننامَ
كما قد تنامُ الحقيبةُ في الفندقِ

تشفُ الغريزةُ في الحبِ
مرحى لمنحدرٍ
شفَّ في مرتقٍ

دعي عنكِ قلبيَ،
قلبيَ من يومِ ما اكتظ بالرملِ لم يخفقِ

خذي جسدي لأقاصي الظلامِ الشهيِّ
ومن فوقه أشرقي

خذيني إليكِ
إلى جسدٍ يتمرّدُ كالشوقِ في الشيّقِ

إلى جسدٍ يتجبّرُ لكنْ يواسي
يورّطُ لكنْ يقي

إلى جسدٍ كاندلاعِ حليبٍ نقيٍ خلالَ زجاجٍ نقي

أنا الآن

يذهبُ لونيَ من غامقٍ في التشهي

إلى أغمقٍ

وشَعبٌ من الرعشاتِ

يسافرُ من قدميَّ إلى مفرقي

أظنكِ مثلي

تكادينَ في الحارِ من موجكِ الآنَ أن تغرقي

ومثلي تُدّخنُ فيكِ مسامُك

من هائلِ الرغبةِ المطبقِ

وتركضُ تحتَ قميصِكِ

سبعُ مياهٍ

تُفتّشُ عن مُستقِ

ففُضي أماميَ أختامَها

ثمّ فوقيَ شلالَها دفّقي

أنا أنتِ
شرقٌ وغربٌ
لينصهر المغربُ الآنَ في المشرقِ

تعالي لنخرجَ عن حافّتيْنا
وفي هُوّةٍ بيننا نلتقي

لنبدأ ما بيننا من حوارٍ
بأن أعرقَ الآنَ
أن تعرقي

وأن ننتقي من بخوري
إلى أن يفوحَ مع المنتقى المنتقي

وأن نتصاعدَ من شبقينِ جريحينِ فينا
إلى شبقٍ

سأحتلُ منك الحريرَ المطاوعَ
لـمُّي حريركِ أو فرّقي

سأحتلُه
فبقيّةُ ما في نواياي لا شيءَ منها بقي

«شتا القوم يشتون: أجدبوا»
«الغربيُّ من الشجر ما أصابته الشمسُ بحرِّها عند أُفولِها»

لسان العرب



7

الوقتُ من أسمائِه الآنَ الشتاءُ
الآنَ باردةٌ هي الأسماءُ

وحدي
وتنهشُ ليلةٌ ذئبيّةٌ مني عيوني
والرياحُ عواءُ

تنهّدُ بي ناري،
وتدخلُ داخلي خطأً وتخرجُ نجمةٌ عمياءُ

ويفيضُ ثم يفيضُ من أنوائِه مطرٌ
وتغمرني به الأنواءُ

يشتدُ برقي حين من جُرحٍ مُضيءٍ في المدى
تتخثرُ الأضواءُ

ينشقُ رعدي عن تصادمِ كوكبينِ من الزجاجِ
وتسقطُ الأصداءُ
فوقي،
وتخفي نفسَها عن نفسِها تحت الليالي وردةٌ سوداءُ

الوقتُ من أسمائِه الآنَ الشتاءُ
الآنَ باردةٌ هي الأسماءُ

وحدي
يعريني نهارٌ كي أرى كينونتي
والرؤيويُ عراءُ

متشققٌ جسدُ الصقيعِ
وذاهبٌ آتٍ عليَّ من الصقيعِ هواءُ

مغمىً عليها شمسيَ الفضيّةُ البيضاءُ لا الذهبيّةُ الصفراءُ

والظلُ فوق الثلجِ أزرقُ
تنحني بي للثلوجِ ظلاليَ الزرقاءُ

فيشيعُ فيَّ الأبيضُ، المتصوّفُ، المرحُ، الكئيبُ، الغامضُ، الوضّاءُ

النادرُ، السلسُ، البريءُ، الموسميُّ، المسرحيُّ، الشاعرُ، الحكّاءُ

الوقتُ من أسمائه الآنَ الشتاءُ
الآنَ باردةٌ هي الأسماءُ

في البيتِ أسكنُ غرفةً من أربعٍ وحدي
ويسكنُ في الثلاثِ
خواءُ

بابي الرضيُّ عليَّ يُغلقني
ويُغلق نفسَه شباكيَ المستاءُ

في السقفِ تخفتُ نجمةٌ
وعلى يميني في الأريكةِ تجلسُ الظلماءُ

يذوي قميصٌ في الخزانةِ
بينما ينسى مواعيدَ الطريقِ حذاءُ

يا فجأةً
يفدُ الزحامُ على الفراغِ
ومنزلي يحتلُه الغرباءُ

في معتمٍ
في صامتٍ
من عالمي الشبحيِّ
يصحو الضوءُ والضوضاءُ

تحمرُّ طاولةُ الحوارِ ولا محاورَ
لي ومني تذهبُ الآراءُ

من غير قاصٍ تختلي بي قصةٌ
وبلا مغنٍ يستهلُ غناءُ

من دونِ إعلانِ الكؤوسِ حضورَها الوهّاجَ
حولي يشربُ الندماءُ

وبلا قصائدَ أو نساءٍ في الخيالِ
تهبُ فيَّ قصائدٌ
ونساءُ

رغم الزحامِ، أنا وحيدٌ.
وحدتي تكفي ليظمأَ في البحيرةِ ماءُ



8

يا عاشقي العذريَّ عُدْ مني إلى جهةِ الرياحِ،
فقبلنا عادتْ إلى جهةِ البحارِ مدينتي العذراءُ
لا عُرسَ
فلتخفتْ بنا الراياتُ والأقواسُ
والأصداءُ والأجراسُ
والهالاتُ والأضواءُ

هو أولُ الأشباحِ قد وافى إلى هذا المكانْ
ما كنتُ أكرهُ أن يحينَ من الحريقِ الصعبِ
حانْ:

أنا في المدينةِ
يركُض الطاعونُ في الأجواءِ
يرتطمُ الضحايا بالضحايا
تعلقُ الأرواحُ في هلع بدائيٍّ
وتهبطُ من أعالي الخوفِ أقنعةٌ إلى كل الوجوهِ
يغادرُ البرقُ الشوارعَ للبيوتِ
وتسقطُ البورصاتُ في المجهولِ
ترتد القطاراتُ البعيدةُ للمحطاتِ البعيدةِ

تمَّحي في الليلِ أضواءُ الكنائسِ والشموعِ
ويمَّحي صمتُ الطُمأنيناتِ ما بين الضلوعِ
وتخفتُ الأشياءُ في الأشياءِ
إلا وحده سلطانُ تيجانِ الملوكِ
يزيدُ بالطاعونِ من سلطانِه
لا غرو
يكبرُ بالوباءِ وباءُ

هو هاهنا ثانٍ من الأشباحِ قد وافى إلى هذا المكانْ
ما كنتُ أكرهُ أن يحينَ من الرمادِ الصعبِ
حانْ:

أنا في المدينة
والسلامُ يُعيدُ توجيهَ البنادقِ للسلامِ
على المدى
برجانِ طينيّانِ وحشيّانِ
ينهارانِ
حين تخف سارحةُ النهارِ إلى الظلال
ولا يجيء الليلُ إلا والسماءُ تئنُ تحت الاحتلال
يُعادُ تفريقُ الأهلّةِ والقبابِ
تُقادُ عائلةُ الغيومِ إلى الشتاتِ

يُصادَرُ القمرُ البريءُ
يُحاصَرُ المطرُ الطفوليُّ المسالمُ
تُمنعُ الصلواتُ من حقِ المرورِ
تُقادُ حتى سجنِها
مخفورةً بمقاتلاتِ العم سام حمامةٌ بيضاءُ

يا عاشقي العذريَّ عُدْ مني إلى جهةِ الرياحِ،
فقبلنا عادتْ إلى جهةِ البحارِ مدينتي العذراءُ
لا عُرسَ
فلتخفتْ بنا الراياتُ والأقواسُ
والأصداءُ والأجراسُ
والهالاتُ والأضواءُ

هو ثالثُ الأشباحِ قد وافى إلى هذا المكانْ
ما كنتُ أكرهُ أن يحينَ من الحريقِ الصعبِ
حانْ:

أنا في المدينةِ
والحضارةُ تستغيثُ من الحضارةِ
تائهونَ
وفي الظلامِ يلوّحونَ لنجمةِ المعنى الأخيرةِ

أثرياءٌ في السحاب
ويبحثونَ طريقةً تُفضي إلى بيعِ السحابِ
مثّقفونَ
ويكتبونَ على السرابِ رجوع أمريكا إلى أسطورة الماء البعيدة
ناشطونَ
وفي قداسةِ نارهم
يتقهقرون بشعلةِ الإنسانِ ثانيةً إلى شُعَلِ القبيلةِ
لاجئونَ
ويركعونَ أمامَ أختامِ الدخولِ
مشرّدونَ
ويبتنونَ منازلَ السقفِ السماويِّ البديلِ
ملوّنونَ
وللبياضِ المستبدِ بكل شيءٍ يشرحونَ جلودَهم
موتى
وإذ يستأجرونَ قبورَهم يشكونَ من فرط الغلاءِ
مراهنونَ
وفي سلالمَ من رمالٍ يرفعونَ رهانَهم
متقدّمونَ إلى الأمامِ
ويرجعون
فقد تفشّى في الأمامِ وراءُ

هو رابعُ الأشباحِ قد وافى إلى هذا المكانْ
ما كنتُ أكرهُ أن يحينَ من الرمادِ الصعبِ
حانْ:

أنا في المدينةِ
يكذبُ التاريخُ حول بدايةِ التاريخ
يكذبُ في المحيطِ الأطلسيِّ غيابُ ماءِ الأبيضِ المتوسطِ
الآثارُ تكذبُ في المتاحفِ
تكذبُ الأحماضُ في الكيمياءِ
تكذبُ في المذاقاتِ التوابلُ
في المعاجم تكذبُ الكلماتُ وهي تخافُ من أنسابِها الفصحى
وتكذبُ في الكنائسِ قبّةٌ قوطيّةُ الأقواسِ
تكذبُ في مناقشةِ العلومِ عباءةُ الأستاذِ
تكذبُ في النجومِ طوالعٌ قد أنكرت أسماءَها العربيّةَ الأولى
وتكذبُ في الصباح الشمسُ
تكذبُ في الكتاب الأبجديّاتُ الأوربيّاتُ
تكذبُ قصةُ المعراجِ في دانتي
وتكذبُ في المسيحِ عيونهُ الزرقاءُ

يا عاشقي العذريَّ عُدْ مني إلى جهةِ الرياحِ،
فقبلنا عادتْ إلى جهةِ البحارِ مدينتي العذراءُ

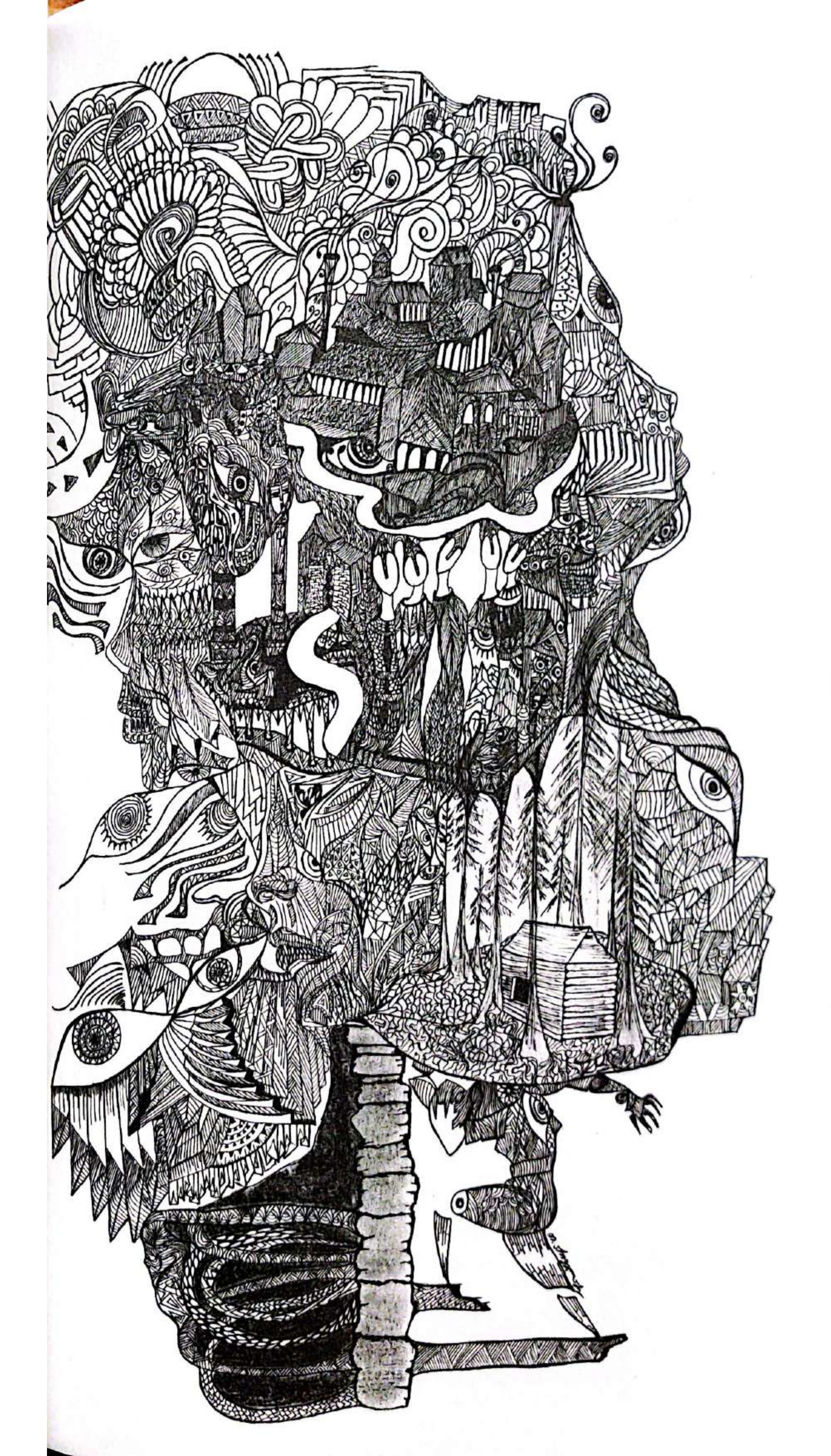
لا عُرسَ
فلتخفتْ بنا الراياتُ والأقواسُ
والأصداءُ والأجراسُ
والهالاتُ والأضواءُ

هو خامسُ الأشباحِ قد وافى إلى هذا المكانْ
ما كنتُ أكرهُ أن يحينَ من الحريقِ الصعبِ
حانْ:
أنا في المدينةِ
والحنينُ يشُدّني منها إلى مدنِ الفجيعةِ
كي أغني الآنَ خاتمةَ المراثي.
أنا وارثُ الشجنِ الجنوبيّ الأخير
وشاهدُ المأساةِ
والمبعوثُ بالجرحِ المبين
الآن مالكيَ الحزين
ينوبُ عني في رثاءِ بحيرةٍ جفّتْ
حصاني المستقيلُ من الطريقِ
ينوبُ عني في رثاءِ الرحلةِ الأولى
وهدهديَ الحكيمُ
ينوبُ عني في رثاءِ ممالكِ الغربات
فيما من أنايَ أعودُ للمدنِ التي تحتّلُني أنّى ذهبتُ

أعودُ للمدنِ التي يحتلها الآن الدخانُ
أعودُ ليس معي سوى تعويذةِ الطلليِّ
طوّقني بها
أسلافيَ الشعراءُ

هو آخرُ الأشباحِ قد وافى إلى هذا المكانْ
ما كنتُ أكرهُ أن يحينَ من الرمادِ الصعبِ
حانْ:

أنا في المدينة
والطفولةُ
تدخلُ المقهى وتجلسُ جانبي
فأشمُّ رائحةَ احتراقِ العمر
أبكي
ثم أوغلُ في الرجوعِ إلى البداياتِ البعيدةِ
كي ألابسَ صرختي الأولى
وأشهدَ عرسَ ميلادي
وأطفُرَ من دموع أبي وأمي
حين في أمي أضاءتْ بالنذورِ الأمهاتُ
وفي أبي بالتهنئاتِ تدفّقَ الآباءُ



9

فِي النصفِ من أعمالِ برجِ الجديِ

جئتُ لوحشةِ البشريِّ

فيمن جاؤوا

ذاقَ الترابُ الماءَ

شعّتْ في (المناقلِ) فكرتي الشفّافةُ السمراءُ

قبل انغراسِ الأرضِ فيَّ

تطايرتْ بي في انفلاتاتِ الرياحِ سماءُ

من يومها هاجرتُ مني لي

ولكنْ

لم تعد لي منيَ الأنباءُ

كنتُ المنادي والمنادى

كلما شدَّ البعيدَ إلى البعيدِ نداءُ

طالتْ تدابيرُ الذهابِ لنجمةٍ مجروحةٍ سكّانُها الشهداءُ

وتصدّعتْ عني البيوتُ
وقادني عبر العراءِ
إلى العراءِ
عراءُ

سجنتْ وجوهي في الكهوفِ صواعقٌ
وتبخّرتْ بي في الجبالِ ظباءُ

وترعرعتْ بين الضلوعِ متاهةٌ مني
وماتَ على الشفاهِ حُداءُ

ومشتْ بي الصحراءُ
حتى لم يعد مشيٌ
وحتى لم تعد صحراءُ

والآن

حظُ الباحثِ المنذورِ للبحثِ الوجوديِّ الأخيرِ

عناءُ

هو غامضٌ وافى بروحي من هناكَ إلى هنا

وهنا هناكَ سواءُ

في الأصفرِ النزّاعِ مني

اعتدتُ أن تغتالَ روحي النزعةُ الصفراءُ

وألفتُ من سفري إلى معنايَ

أن تتطابقَ الخطواتُ

والأخطاءُ

أنا كلُ أسلافِ الرحيلِ

وباسمهم لي آدمٌ مني ولي حواءُ

وسأنتهي في الخاسرينَ كما انتهوا

فسليلُ عائلةِ الهباءِ

هباءُ

الآنَ

تعبرني طموحاتي مخيّبةً

كما عبرَ السرابَ ظماءُ

فلّاحيَ الناريُّ غادرَ دونَ أن تنشقَ عني الشعلةُ الخضراءُ

نامتْ أساطيري عليَّ

وقررتْ أن تكتفي برمادِها العنقاءُ

والشمعُ ذابَ

وقادني للراهبِ الضحّاكِ مني الراهبُ البكّاءُ

اللغزُ جفّفَ أبيضي

بمسافتينِ بعيدةٌ عن أبيضي الأنداءُ

اللغزُ أوغلَ في مساورتي

ولم يأخذْ يدي للحكمةِ الحكماءُ

لم يعل بي من صاحبِ الـمُثُلِ المثالُ

وبعده لم يمش بي المشّاءُ

لم يكتشفني الكشفُ
لم يشف الشفاءُ تعلتي
لم يحيني الإحياءُ

جرّبتُ مقترحَ البحار،
سفينتي حجريّةٌ وعدوُّها الميناءُ

جرّبتُ مقترحَ الطيور،
يمامتي أودى بها من أفقِها الإعياءُ

جرّبتُ مقترحَ الحدائق،
وردتي لم تعترفِ بوجودها الأشذاءُ

لم يبق إلا الموتُ حلاً ممكناً للغزِ
فليسرعْ إليَّ رثاءُ

الموتُ شباكٌ على الجهتينِ
إذ منه يُطلُ على الصباحِ مساءُ

الموتُ طاولةُ الوجودِ
وحولها يتفاوضُ الأمواتُ والأحياءُ

يا آخذَ الأحبابِ للأحبابِ
قلبي مُطفأٌ
لكن
هوايَ مُضاءُ

سبّحتُ لألاءَ الحقيقةِ فيكَ
حتى غابَ بي عن نفسيَ اللألاءُ

يا من نداكَ الوعدُ والرؤيا
وفي نُعمى يديكَ المجدُ والعلياءُ

خذني إلى عنوانِ سيناءَ المُعاصرِ
غيّرتْ عنوانَها سيناءُ

ولتأمرَ السَرَيانَ
كي يتناوبَ الأعماقَ مني الوحيُ والإغماءُ

لي في الطوالعِ حضرتانِ
وإن مشى معناكَ لي
فالحضرتانِ فناءُ

أرجوكَ
للملكوتِ وافى أهلُه
وتعانقَ النقباءُ والنجباءُ

رأتْ المنصاتُ الجلالَ
ورحّبتْ بالواصلينَ السدرةُ العصماءُ

وأنا هنا وحدي
تضيفُ لصمتِها من صمتِها
أجراسيَ الخرساءُ

فمتى يشيرُ الفيضُ للفيّاضِ
كي نحوَ المشيّأ تصعدُ الأشياءُ

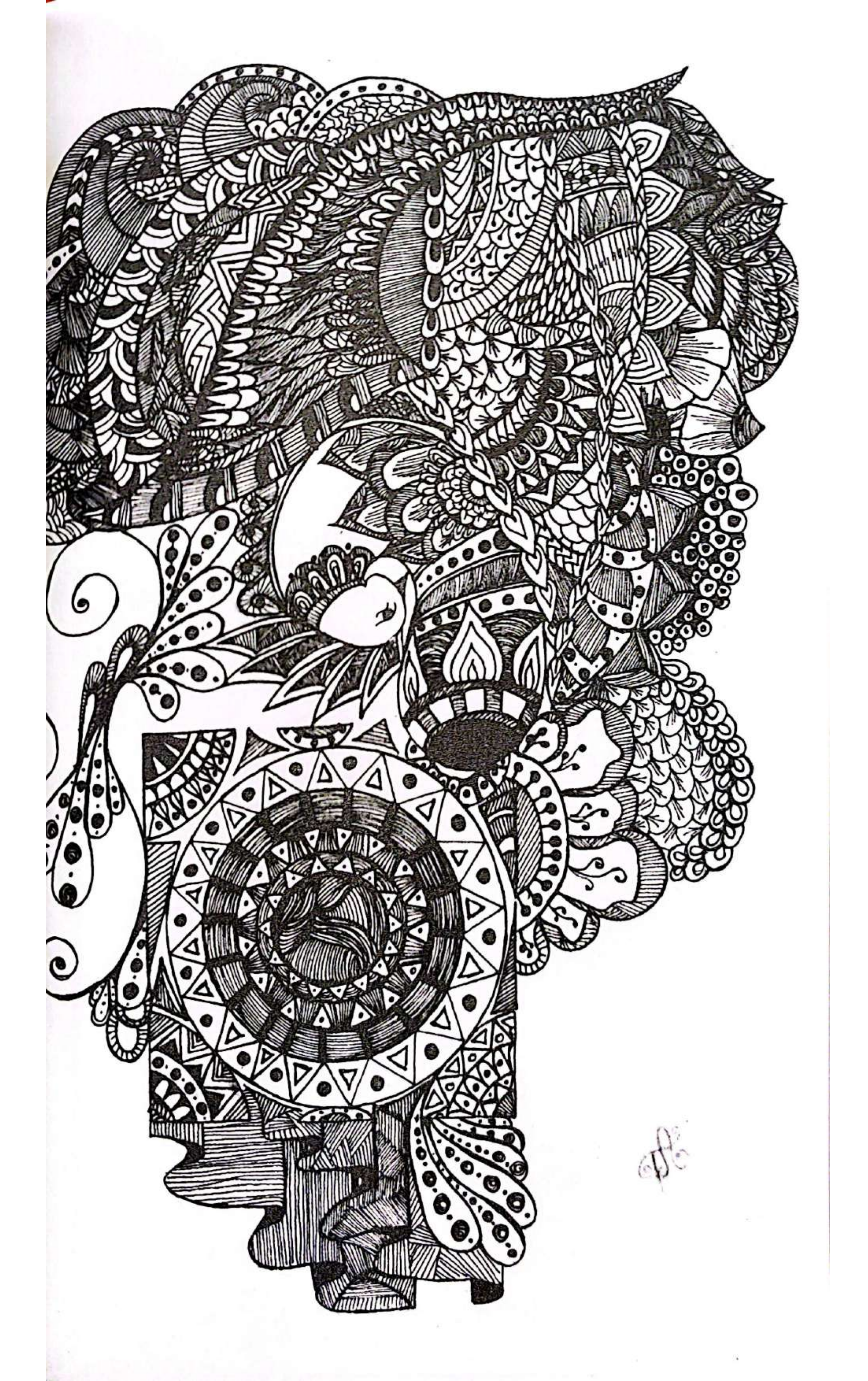
ومتى يُضيء البرقُ في الأقصى
وللأقصى
متى ينتابني الإسراءُ

ومتى يعودُ إلى مياهي
زمزمٌ
ومتى إلى جبلي يعودُ
حراءُ

«الربيع: الساقية الصغيرة تجري إلى النخل»

«وتقول: رجعَ عودُه على بدئه، تريد أنه لم يقطع ذهابَه حتى وصله برجوعه»

لسان العرب



10

ربيعٌ
وتنفتحُ الأرضُ عن عدمٍ يتنفّسُ كي يوجدا

أرى إذ أرى
المستحيلَ الطبيعيَّ ينبضُ في الوردِ إن ورّدا

أرى منتدى اللونِ
في سبعةٍ من رؤى الطيفِ
تفتتحُ المنتدى

أرى دولةَ الشمسِ تمتدُ
كيما توسّعَ سلطانَها في المدى

أرى الدفءَ ينسابُ في شجرِ الغرباتِ
ويستقربُ الأبعدا

أرى درجاً من غمامٍ
ووفدَ عصافيرَ يوشكُ أن يصعدا

أرى العُشبَ يخرجُ من حفرةٍ
والصديقُ الهواءُ يمدُ يدا

أرى الصوتَ في دهشةِ الأغنياتِ الغريبةِ
يذهبُ خلفَ الصدى

ربيعٌ
وأطيافيَ المُثّلُ الآنَ تتبعُ أطيافيَ الشُرّدا

لكي تستعيدَ من العمرِ بعدَ تناهيه
عمري المراقَ سُدى

فيا خفةً في الظلالِ التي تتمشى معي دونَ أن تقصدا

أريدكِ أن تتركيني ونفسيَ
كي ألتقيها هنا
مفردا

هنا
حيثُ تهفو منافٍ فدائيّةٌ
لهوى وطنٍ مُفتدى

تسيرُ المفاتيحُ بي
والقيامةُ تفتحُ لي بابَها الموصدا

هو البعثُ
يا لسجونِ الترابِ وقد حررّتْ جسدي المجهدا

ويا لإفاقةِ روحيَ
أوحتْ لكابوسيَ الحارِ أن يبردا

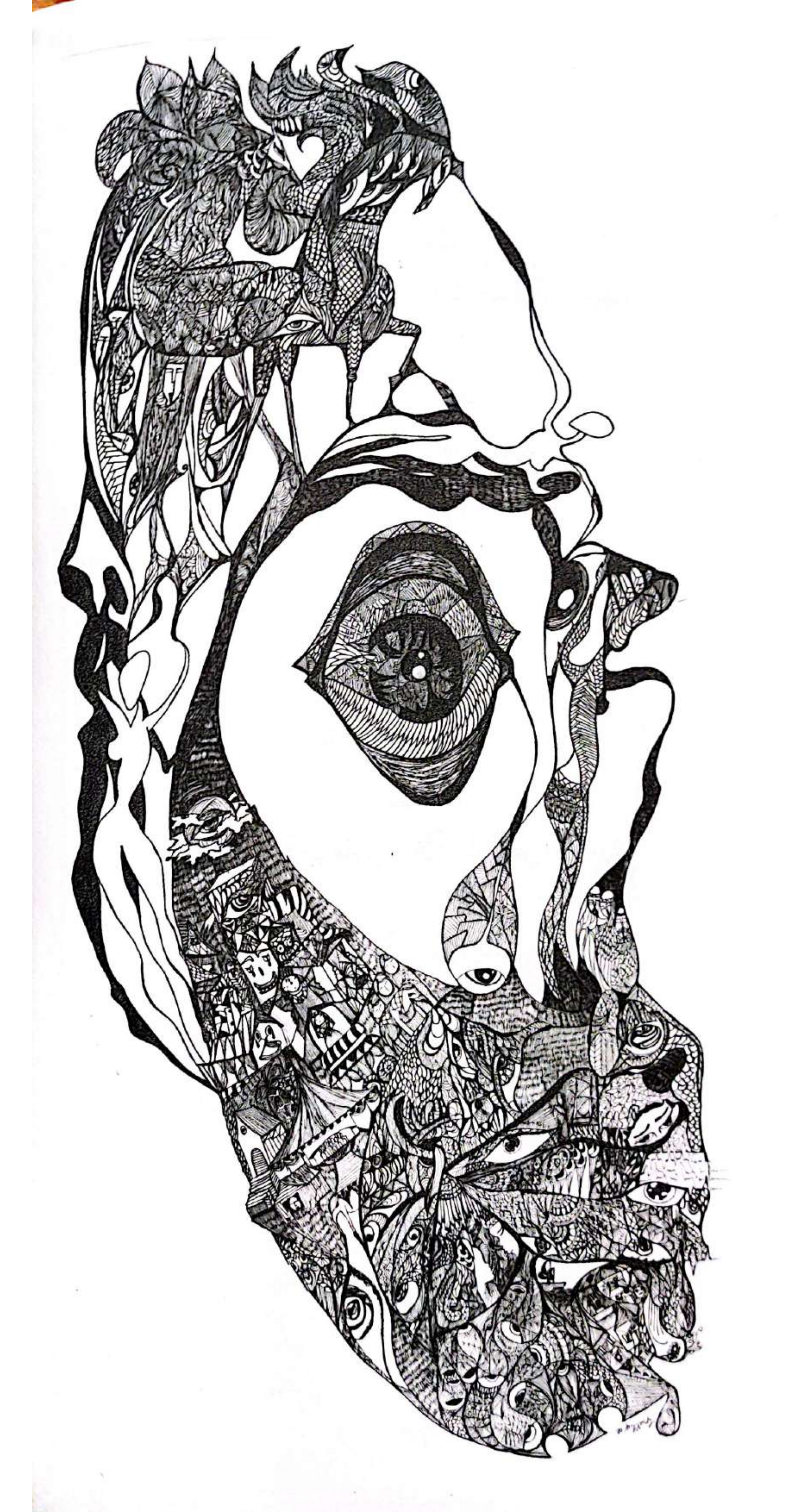
نعم،
إن قبريَ خلفي
ومن بين كلِ القبورِ
عليه ندى

تماماً
كما يستعيدُ الرماديُّ أسلافَه: الأبيضَ، الأسودا

أنا أستعيدُ ترابي ومائي
وأخلقُ من كلِ أمسٍ غدا

أُعدُّ طقوسَ الولاداتِ كيما أحاولَ منيَ أن أولدا

وكي ألتقي بيَ
من مترفاتِ المواعيدِ
أختارُ لي موعدا



11

تباركتِ

يا لحظةَ الاستضاءةِ في الظلمةِ المزمنة

تمرين بي مرةً كلَ ألفِ سنة

تباركتِ يا لحظةَ الوعي بالذاتِ

يا لحظةً تكشفُ الوطنَ المتخيَّلَ للوطنِ المتجسّدِ

والجنّةَ المستحيلةَ للجنّةِ الممكنة

تماماً

على الحدِ بيني وبيني

أفيقُ

وترفعُ عني نيويوركُ غيبوبةَ التجربة

تحتَ قوسِ المساءِ الأخيرِ

المدينةُ تُطلقني في شوارعِها

كي أوسّعَ بالمشي منها الشرايينَ

وهي توسّعُ بالصمتِ منيَ غربتيَ المتعِبة

على حافةِ الألفةِ المستريبةِ ما بيننا

أتعجّبُ من لونِ منفى يحاول أن يتقمصَ لونَ الوطنْ

تعاليتَ يا مجدَ هذي المدينةِ

تحتكَ

فليركض الناسُ

إنّ بضاعةَ هذا المكانِ المرابي الزمنْ

تعاليتَ يا مجدَ هذي المدينةِ

تحتكَ

فلينصب الناسُ سلطنةَ الزيفِ فوقَ الأناشيد

إنّ الخيانةَ تجلسُ في عرشِ سُلطانِها المؤتمنْ

تعاليتَ يا مجدَ هذي المدينةِ

تحتكَ

فليهمل الناسُ رائحةَ الجثةِ الحجريّة

إنَّ الحضارةَ في لحظاتِ العفنْ

إلى المتشظي تشير اليواقيتُ

أبريلُ-وهو يعاني اضطرابَ الهويةِ-

لا يعرفُ الآن ماذا يريدْ

وحتى أنا مثلُه

لستُ أعرفُ هل أنتمي لقريبِ المدينةِ أم أنتمي للبعيدْ

أشيرُ لصاحب تاكسي وأركبُ

- من أنتَ؟ يسألُني

- فأجيبُ: أنا الوجهُ في حفلةِ الأقنعة.

- ومن أين؟

- من رملٍ صحراءَ تحنو على الرمل.

- هل ثمّ شيءٌ هنالكَ غير الفراغ؟

- نعم.

الفراغُ

وحريّةٌ وجدتْ في الفراغِ سعة.

- وكيف ترعرعتَ؟

- ترعرعتُ تحتَ تصادمِ ريحينِ في زوبعة.

- وهل صدمتكَ الحضارةُ حين وصلتَ هنا؟

- الحضارة؟!

لم ألقَها هاهنا.

الحضارةُ كالشمسِ: تشرقُ في الشرقِ تغربُ في الغرب.

- ما الفرق بينهما، أقصدُ الشرق والغرب؟

- يا سيدي الغربُ ليس سوى وجهةٍ،

بينما الشرقُ معنى.

- هي القوسُ مشدودةٌ في هوائكَ، دعنا

نكن بينَنا صرحاء:

لماذا إذن جئتَ من شرقكَ المتمسكِ باللحظةِ الثالثة؟

- لكي أتجوّلَ بين المقاديرِ

في مطبخِ الكارثة

- فقط؟

- لا.
وكي أتشمسَ تحتَ أشعةِ تنويرِكم
(بعد أن أتمكّنَ من فصلِها عن جذورِ الإبادة)
- الفرادة. كيف تراها هنا؟
- هنا كم أحبُ الفرادةَ
حيث البياضُ مثابرةٌ تتراكمُ من أبيضٍ
والسوادُ مثابرةٌ تتراكمُ من أسودٍ
غير أنّ الفرادةَ هذي تموتُ هنا الآن
تحتَ بهارجِ قوسِ قزحْ
- إذا ما يشاعُ على أهلكَ الساهرين مع الموتِ صحْ:
لماذا تدوّيُ الدماءُ بأفواهكِم؟
- خذ الأمس
من صرخة الأمس عند الولادةِ حتى يلاقي غدَه
ورقّمْ خروجَ النزيفِ عن الأوردة
إذا كان للعنفِ تاريخُه فهو تاريخُكم
صاحبي العنفُ ليسَ فصيحاً
سوى في اللغاتِ الأوربيّةِ البدءِ والمنتهى
كالفرنسيّةِ الحلوةِ النبرِ والإنجليزيّةِ الواضحةْ.
- غنائيّةٌ جارحةْ
تُحلّقُ منكَ اللغة،
وتأخذني لهوى اللغةِ الأمّ فيكِ
فيا صاحبي ما اسمُ هذي اللغة؟

- اسمُها لغةُ الجُرأةِ المستحيلةِ في قولِ ما لا يقال
وحين أفجّرُ فيها الخيال
يسيلُ على نصفِ مليارِ قلبٍ حنينٌ إلى جنةِ الخلدِ
تركضُ أنهارُه من أقاصي اليمينِ وحتى أقاصي الشمال
- شاعرٌ أنتَ؟
- نعم: باعتبار الطريقةِ، لا: باعتبارِ الطريقِ
ولكن ورائي السلالةُ من أنبياءِ الكلامِ
دمي
-بخلاصةِ ما قطّروهُ،
كثافةِ ما بخّروهُ-
تدفّقَ فيه الفصيحُ الذي ينتقي أفصحَه
أنا الآن مستيقظٌ في هوى لغةٍ نامَ أصحابُها
وليَ السربُ وحدي
ومني المسافاتُ والأجنحة
- كتبتَ لهذي المدينةِ شيئاً؟
- كتبتُ لها بعضَ أغنيةٍ من أغاني الخلاصِ الأخيرةْ
ولكنني سأخصُ بها الآن نفسي
لأنَّ القصيدةَ في مثل هذي المدينةِ
ليستْ سوى قمرٍ في الظهيرةْ
- وهل تتذكرُ أولَ يوم هنا، في نيويورك؟
- لا

أتذكر يومَ صبايَ الأخيرْ
وكم أتذكرُ أميَ
كانتْ تقلُّ لأكثرَ
حتى نمى في القليلِ الكثيرْ
هناكَ ورائعةُ الفجرِ تغلقُ أبوابَها
أتذكرُ مشيي إلى مسجدٍ في حواري (الرياضِ)
أراني أرتّلُ سورةَ مريم
تنبضُ حولي ملائكةٌ من موسيقى
ملائكةٌ تتمايلُ بي في دوائرَ من ذهبٍ
وترفُّ عليَّ بأجنحةٍ من حريرْ
وكم أتذكرُ ركضي إلى ملعبٍ في حواري (الرياضِ)
أراني أطيرُ وراءَ الكرةْ
وخلفي أرى كلَّ ما في الوجودِ يطيرْ
وكم أتذكرُ طولَ اندهاشيَ
من رفِ مكتبةٍ في حواري (الرياض)
أرانيَ أفتحُ بابَ كتابٍ من السردِ
ثم أُضيّعُ نفسيَ في عالمِ السارِدينَ المثيرْ

تأخرتُ يا صاحبي
أخرتنيَ لوعةُ هذا التذكر
- من فضلكَ الآن خذني إلى المتماسكِ فوقَ مدينتكَ السائلة

- إلى أين؟!

- إلى متحفِ *(المِتْ)*

تُبلّلني بالمياه زنابقُ (مونييه)

تقتلني سُمرةٌ حُرةٌ في جميلاتِ *(غوغان)*

يغمرني بالسكونِ الملّونِ لا بالإثارةِ تفّاحُ *(سيزان)*

يُدخلني (جاك لوي) موتَ سقراط،

يشرحُ لي *(كارافاجيو)* قداسةَ بطرس لحظةَ إنكارِها ليسوع

وخذني إلى المنتهى من شجى *(المسيسبي)*

- إلي أين؟

- إلى حفلةٍ من تآخي (البلوز) مع (الجاز)

في نصفِ فوضى

سيرتجل العازفُ الأسودُ اللحنَ

حتى تعودَ الحدودُ الوراءَ إلى عالمٍ دون حد

سيرفعُ حمّى الموسيقى

إلى أن تطابقَ حمّى العذاباتِ

في جدّهِ الأسودِ المضطهد

وخذني إلى واسعٍ خلفَ رابعِ جدراننا الضيّقة.

- إلى أين؟!

- خذني إلى مسرحٍ في *(برودوي)*

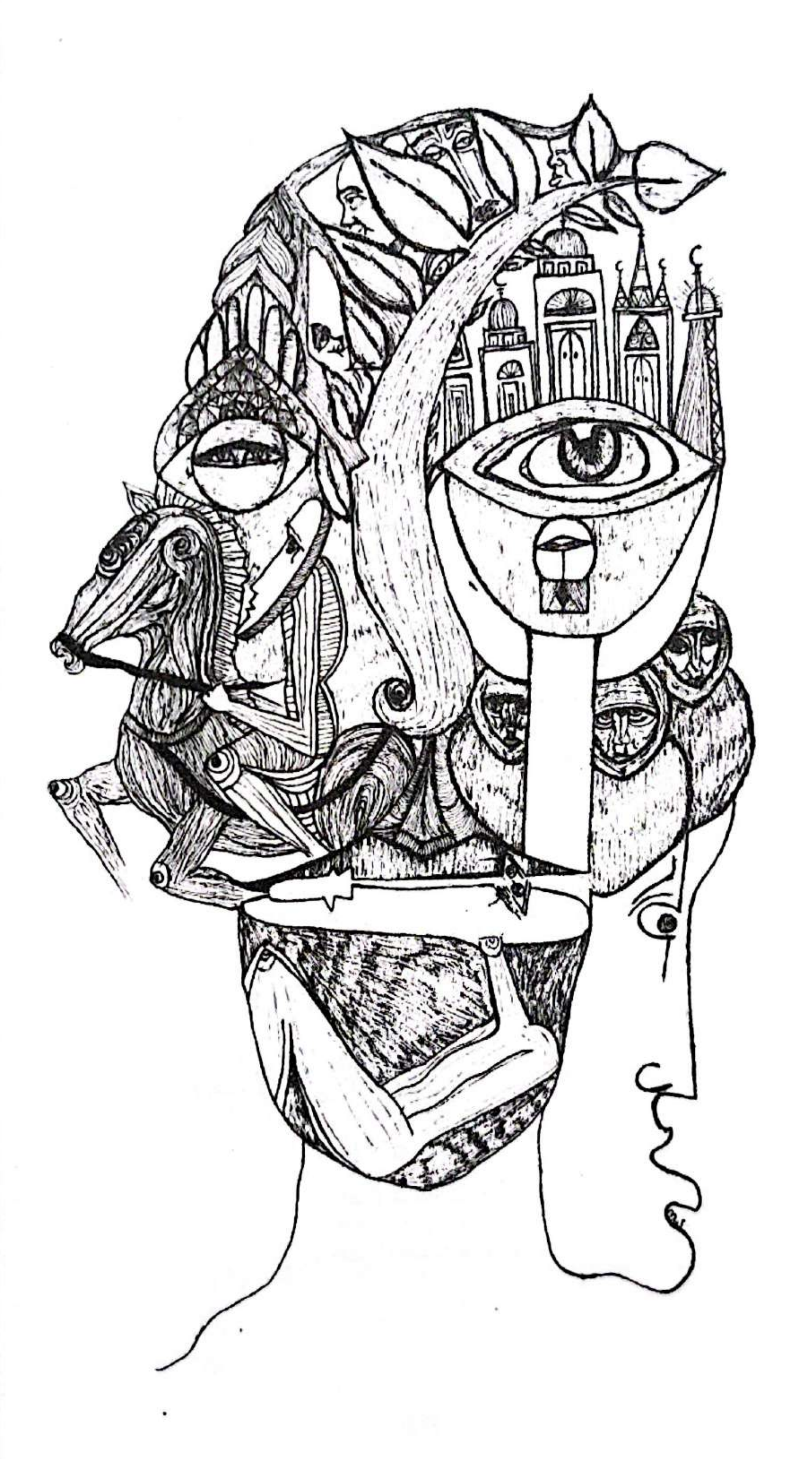
سيصعدُ للمسرحِ الآن (هاملت)،
لا ليعرفَ قاتلَ والدِه
لا ليملكَ أبّهةَ التاجِ في الدنمارك
ولكن ليعرفَ مأساتَه
وليملكَ نفسه

وخذني لبيتِ الوحوشِ الخماسيِّ
- إلى أين؟!
- إلى مجلس الأمن
هناكَ سيجتمعُ القاتلون الأنيقون
-حيث الرصاصاتُ تسكنُ أزرارَ قمصانِهِم والمشانقُ في ربطاتِ العنقْ-
سيجتمعون فما زالت الحربُ تعملُ
كانت جنوباً يعاني شمالاً:
(قرطاج-روما)
وصارت هنا الآن شرقاً يكابدُ غرباً:
(بغداد-واشنطن)
وخذني لمحكمةِ العدل
حتى أقاضي المشاةَ بوصفي محامي الحمامِ المروّع

وخذني إلى النبع
منهاتنُ الآن تشربُ أنهارَها من ثلاثِ جهاتٍ
ولكنها ظامئة

وخذني إلى أخضرٍ في بلادي
هنا حُسم الأمرُ
إسمنتُ هذي المدينةِ جرَّ من العشبِ أوراقه
ليحاكمَ في شبهتينِ:
الخروج على سُلطاتِ الزمان
خيانة روحِ المكان

وخذني لباب المطارِ
الوقودُ تحفّزَ من تحتِ أجنحةِ الطائراتِ
ومن قلقٍ تحتَ روحي تحفّزَ جرحُ الرحيلِ الدؤوبْ
خطايَ أقل
دروبي أكثر
رحماكَ يا جدليَّ الخطى والدروبْ
أنا منذُ كنتُ
يداي الحمامةُ
ذاهبةٌ لأقاصي الحدودِ لكي تستشفَّ الغيوبْ
وروحي الغمامةُ
بيضاءُ عند الشروقِ
وحمراءُ عند الغروبْ



12

فيا أصدقائيَ
والآنَ مُرتفَعُ الوقتِ وافى إلى المنحدرْ

ومرّتْ تقاسيمُ أربعُ غنّتْ لتغريبةِ الطيفِ
والطيفُ مَرّْ

سأذهبُ عنكم
وأترُكُكم في رعايةِ ميعاديَ المنتظَرْ

إذا مهنُةُ القلبِ
أن يستشيرَ الطوالعَ
كي يستشفَ القدرْ

فإن القلوبَ ستلمحُ وجهيَ
في طالعِ القادمِ المدّخرْ

وأما هنا الآن فالفيضُ تابَ عن الفيضِ والمستفيضُ انحسرْ

ستخفتُ فيَّ المدينةُ
يخفتُ فوقَ المدينةِ ضوءُ القمرْ

سيبردُ وعي المصابيحِ،
يلمعُ حزنُ القطاراتِ تحت المطرْ

تذوبُ الخُطى في الشوارعِ،
يخبو المدى،
تمَّحي في المرايا الصورْ

هنا يتراجعُ عني النبيذُ وينزلُ عن كتفيَّ الخدرْ

وتحمَرُّ حُمّى المسافاتِ
بينَ أعاصيرَ لا تعرفُ المستقرْ

هنا تتصاعدُ فيّ النسورُ التي يتصاعدُ فيها السفرْ

إلى الشرقِ خذني
إلى الأزليِّ الذي منه يولدُ كلُ أزلْ

ومن كل ما في كتابِ الحضارةِ
أرجوكَ خذني إلى المستهَلْ

إلى لغةٍ برقُها ببروقِ الملائكةِ القدماءِ اتصلْ

إلى الوحي
حين تنهّدَ فوقَ خفيفِ السماءِ المجازُ الجللْ

إلى الفنِ
يومَ مشتْ في رمادِ الحقيقةِ عاطفةٌ
فاشتعلْ

إذا كلُ هذا تناقصَ في فكرةِ الشرقِ،
فالنقصُ هذا اكتملْ

ذهاباً مع الزمنِ الدائريِّ
يُعدُّ لمستقبَلينِ
طللْ

هو الموتُ ذلَّ وهانَ
يُشكّكُ في سطوةِ
الموتِ عزَّ وجلْ

بريقٌ ويعلنُ
أن الهزيمةَ توشكُ أن تنجلي عن بطلْ

مدىً مُنحنٍ يستقيمُ
وشمسٌ تجرّبُ أضواءَها خلفَ تلْ

دمٌ أحمرٌ عاملٌ ينتشي في دمٍ أبيضٍ عاطلٍ عن عملْ

يدٌ في يدٍ تطمئنُ
وقلبٌ قليلٌ يضيفُ لقلبٍ أقلْ

ويا اسمي الـمُعدَّ لكل القداساتِ
أنتَ أماميَ يا اسمي الـمُعدْ

هنالكَ
حيثُ يشفُ مدىً من وراء مدىً
وتلوّحُ يدْ

هنالكَ
في روعةِ اللانهائيِّ وهي تُربّي طُموحَ العددْ

أراكَ تُلمّعُ روحيَ
في الخافتِ المنتمي لظلامِ الجسدْ

أنا لستُ من طينةِ العصرِ هذا
لأني أوّدُ الذي لا يَودّ

وصوتي على بُعدِ مستقبلٍ من وجوديَ
يسطعُ في كل غدْ

يُجلّي الحقيقيَّ والمتخيَّلَ
ينعى المضيَّعَ والمستردْ

يحيطُ بما كانَ
من كلماتِ العذابِ
ومن كلماتِ الرغدْ

وفي موحشِ اللحظةِ العدميّةِ
يخلقُ يخلقُ من دونِ حدْ

هو الراهنُ الآن:
مملكةٌ من غبارٍ
لها ملكٌ من زبدْ

هو الراهنُ الآن
إذ لا مكانَ
وإذ لا زمانَ
وإذ لا أحدْ

ومن ضيق منفايَ في الراهنِ الآنَ
آتيكَ يا وطني
في الأبدْ

نيويورك

مايو ٢٠٢١

القراءاتُ حُرّةٌ

القراءاتُ حُرّةٌ

ولكنْ بحقِّ الأغاني البعيدةِ

أرجوكَ يا صاحبي

أن تُعيدَ قراءةَ أغنيتي مرّتين

فأغنيتي نجمةٌ في مدىً

ومدىً في مجرّة

